المستوى الدلالي للتقابل والترادف في

أمثال شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي

م.م. هاشم عبد الله طاهر الياسري
معاون مدير عام مركز البحوث والدراسات التربوية

امتازت اللغة العربية بكونها لغة القرآن الكريم والشعر والادب، وحفظت نتاج الامة الفكري وتراثها الانساني... ولذلك تعد أي دراسة لاي مفردة من مفردات هذه اللغة الغنية والثرة والمتفردة في خصائصها... خطوة مهمة في الفهم المتعمق والاصيل لماضيها وتراثها وتاطير لحاظرها وتعزيز البناء الانساني والتربوي للاجيال في المستقبل... لما تحمله من افكار ومعطيات فكرية وعلمية وقيمية تسهم في بناء الشخصية المتعلمة والساعية للارتقاء في سلم المعارف والتجارب والخبرات الفردية والجمعية الامر الذي يسهم في ارتقاء الفرد بسلوكه وتفكيره وقيمه التربوية والاجتماعية والاخلاقية..

والباحث قد وجد البحث في مفهوم المستوى الدلالي اهمية وفائدة كبيرة خصوصاً وان المنجم الذي يتم البحث فيه هو شرح ابن ابي الحديد المعتزلي لخطب نهج البلاغة لسيد البلاغة وفارسها الامام علي ابن طالب(عليه السلام)، حيث انصب اهتمامنا على وجه الخصوص بدراسة اهم الظواهر الدلالية من خلال مفردتي (التقابل الدلالي) و (الترادف). محاولين اغناء الموضوع من جميع الجوانب وتسليط الضوء على كل مفردة من المفردات بالشكل الذي يجعلها اكثر وضوحاً وفهماً وفائدة ... خصوصاً وان مفردة، كمفردة التقابل الدلالي تتداخل معها العديد من المصطلحات والتي قد تختلط على غير المتخصص، وما

يمكن ان يشكله كل ذلك من ضياع للفائدة والمتعة في آن واحد.. متوخين ان يكون الاسلوب سهلاً من غيرمبالغة مزاوجين فيه ما بين الحكم والامثال والشرح الدقيق الذي يسهم في البناء التربوي والاخلاقي...

ان هذه التجربة المتواضعة قد وضعت عند الباحث الحجر الاساس الاكثر من موضوع يسير على نفس الشاكلة في السهولة والتبسيط مع التوسع و من مزيد الدراسة والبحث لهذا المنجم العظيم والكبير في رصيده الفكري والمعرفي والاخلاقي والتراثي.. لان نهج البلاغة مازال على الرغم مما كتب فيه منجم بكر وهو بحاجة الى مزيد من الدراسة والبحث والتحقيق.. والتوفيق من الله...

اهمية البحث:

1. ترتكز اهمية البحث من قضية مؤداها رغبة الباحث في تسليط الضوء على احد المناجم الفكرية والادبية الغزيرة بعطائها المفاهيمي والتجربي والخبراتي، وعملية الدراسة والبحث في مثل هكذا موضوع له العديد من الاسهامات والايجابيات على صعيد الفرد او الجماعة والمجتمع..
2. التقابل الدلالي في اللغة وما يرتبط به من مفردات وعلاقتها مع غيرها من المفردات، لها دور كبير في تنمية الحس الانساني والمفاهيمي لدى القارئ لكونه يحمل العديد من الدلالات ذات الابعاد التربوية والتعليمية...
3. محاولة الاستفادة من موضوع الدراسة الحالية في عرض واستحصال اكثر من فائدة فمن هذه الفوائد هو التعرف على مفردات مهمة من مفردات اللغة العربية والتعريف بها وتفريقها عن غيرها من المفردات والمفاهيم، فضلا عما يصحب كل ذلك من حكم وامثال، ذات ابعاد تربوية ونفسية عميقة تسهم في تربية وتنشئة الجيل الجيديد..

4. البحث الحالي محاولة قد تسهم في تسخير التراث اللغوي والادبي في تربية ابنائنا لكون الامثال والقصص لها من التاثير النفسي مالايعادله تاثير اخر من الوسائل التربوية والتعليمية..

المبحث الأول

الدلالة لغة:

أشار اللغويون إلى معانٍ متعددة في لفظة (الدلالة)، فذكروا أنَّها مصدر دلَّ يدلُّ، دَلالة، ودِلالة، والفتح أعلى، ويقال فيها: دُلُولة. ومن معاني الفعل (دَلَّ) أنَّه بمعنى هدى وأرشد، فالدليل: الدال، كما إنَّ الاسم (الدِّلالة)، و(الدَّلالة) بالكسر والفتح[1].

الدلالة اصطلاحاً:

حدَّ العلماء الدِّلالة بقوله: (هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدَّال، والثاني هو المدلول)[2]. ونلحظ أنَّ المعنيين اللغوي والاصطلاحي للدِّلالة مترابطين فهي في كلا الحالتين تعني الهداية والإرشاد، وهي تتضمن وجود لفظ دال ومعنى مدلول، فوظيفة الدلالة الهداية إلى المعاني التي يريد المتكلم إيصالها إلى السامع[3].

أما علم الدلالة فهو: (ذلك العلم الذي يدرس المعنى)[4]. وقد شغلت دلالات الألفاظ العلماء على مر العصور، وساهم فيها فلاسفة، ومناطقة، وأصوليون، ولغويون، وبلاغيون من العلماء العرب، وغيرهم فأضحت لذلك الدلالة علما له أصوله ونظرياته.[5]

ودراسة دلالات الألفاظ تهتم بدراسة الأسباب الاجتماعية، واللغوية، والتاريخية، التي أدت إلى تغيير دلالاتها، فاللغة كائن حي ينمو ويتطور، وفي أثناء تطورها تُصاب بكثير من التغيير في الأبنية ومعانيها[6]، ولاحظ المحدثون

أن مظاهر التطور الدلالي في الألفاظ غالباً ما تكون في الانتقال من المعاني المادية الحسية إلى المعنوية المجردة.[7]

التقابل الدلالي لغة واصطلاح:

التقابل لغة:

التقابل مأخوذ لغة من: (قابل الشيء بالشيء مقابلة وقبالا: عارضهُ.. ومقابلةُ الكتاب بالكتاب وقبالهُ بهِ: معارضتهُ).[8]

التقابل اصطلاحاً:

حدَّ اللغويون التقابل بأنَّه: (ذكرُ الشيء مع ما يوازيهِ في صفاتهِ وتخالفهُ في بعضها، وهي من باب (المفاعلة) كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق).[9]

درسَ علماؤنا المتقدمون ظاهرة (التقابل) في دلالة الألفاظ ضمن دراساتهم للغة، ولكن أهم ما يؤخذ عليهم هو عدم استعمالهم مصطلح (التقابل) للدلالة على ما أشار إليهِ المحدثون، إذ عبر عنها بعضهم بالأضداد، ومنهم الهمذاني (ت 320هـ)، فقد عقد باباً في كتابهِ (الألفاظ الكتابية) أسماه (باب الأضداد) جمع فيه ستين زوجاً من الألفاظ المتقابلة منها: (الفرح والغم، اليسار والفقر، الاظهار والكتمان، النوم واليقظة...).[10]

كما أشار إلى هذه الظاهرة تحت تسمية الأضداد، ابن الأثير (ت 606هـ)، فأورد طائفة من المتقابلات، لبيان المعنى، وشرحه، ومن أمثلة ما جاء به الأثير، (البعد ضد القرب، و(الخصب ضد الجدب)، و(الصواب ضد الخطأ)، و(العرف ضد النكر)، و(القبح ضد الحسن)، و(الوحشة ضد الأنس)، و(اليسر ضد العسر)[11].

واستعمال مصطلح (التضاد) نجده عند قسم من علمائنا المحدثين[12]، وهذا يعد دليلاً على أن مصطلح التقابل الدلالي ليس مجمعا عليهِ، فهذه الألفاظ التي عبر عنها بالمتضادات تدخل في ضمن التقابل الدلالي.

وأشار الأستاذ عبد الكريم محمد حافظ الذي درس ظاهرة التقابل الدلالي إلى أن هناك مجموعة من المصطلحات تتداخل مع مصطلح (التقابل الدلالي)[13] وهذه المصطلحات هي:

1- المطابقة: والمطابقة في الكلام هي: (أن يجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، كالبياض والسواد، والليل والنهار)[14].
2- المقابلة: وهي: (إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثلهِ في المعنى أو اللفظ على جهة الموافقة او المخالفة)[15].
3- الضدُّ: وهو المخالف (فضد الشيء وضد يده وضديدتُهُ، خلافُهُ)[16].
4- التخالف: وهذا المصطلح مأخوذ من (الخلاف)، أي: المضادة[17].
5- العكس: وهو: (ردُّك آخر الشيء على أولهِ، وهو كالعطف)[18]. وعبرَّ عنهُ البلاغيون بـ (أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول)[19].
6- النقيض: وهو مأخوذ من: (المناقضة في القول: أن يتكلَّم بما يتناقض معناه، والنقيضة في الشِّعر ما يُنقضُ بهِ،....ونقيضُك: الذي يخالفك)[20].

ويظهر لنا مما تقدم من المصطلحات أنَّ بعضها يقترب من مفهوم (التقابل)، وبعضها الآخر يبتعد عنه ويبدو أيضا أنَّ مصطلحي (الضد، والتخالف)، هما أساس (التقابل) وليسا كالطباق والمقابلة، لأن الأخيرين من المباحث البلاغية التي يؤتى بها لتحسين وجوه الكلام، فهما يؤديان وظيفة بديعية، كما أن مصطلح (العكس) لا يحقق أدنى علاقة مع التقابل، فهو يتعلق بمكان الكلمة من حيث الموقع تقديماً وتأخيراً[21]. تبعا لذلك نرى أن مصطلح

(التقابل الدلالي) هو أدقُّ هذهِ المصطلحات في الدلالة على هذهِ الظاهرة اللغوية التي نراها تبرزُ في مواضع معينة في الاستعمال اللغوي، وبخاصة في المواضع التي يقارن فيها المتكلم بين شخصين، او فكرتين فيهما نوعٌ من التقابل.

وظاهرة التقابل الدلالي نجدها في الأمثال في شرح النهج خاصةً، وفي الأمثال عامة، وذلك لأنَّها تحمل عنصراً تعليمياً يتمثل في جانب كبير منه، في المقابلة بين تجربتين أو فكرتين، وسنبحث في التقابل الدلالي على مستويين: أحدهما: التقابل في الأسماء، والآخر: التقابل في الأفعال.

أولا: التقابل الدلالي في الأسماء.

وردت في شرح النهج أمثال تضمنت تقابلاً دلالياً في الجمل الأسمية، منها قول الإمام علي عليه السلام الذي ذهب مثلا: (الدهرُ يومان يومٌ لكَ ويومٌ عليكَ فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر)[22]. فالتقابل كان في قوله (يوم لك ويوم عليك) وذكر الشارح أنَّ المعنى المراد من قول الإمام (قديم): اذ قال: (قديما قيل هذا المعنى الدهر يومان: يوم بلاء، ويوم رخاء، والدهر ضربان: خبرة، وعبرة، والدهر وقتان: وقت سرور، ووقت ثبور)[23]. والمعاني الواردة من هذه الأقوال نراها متفقة في إيضاح حالات الإنسان المختلفة وبخاصة المتقابلة منها.

ومن التقابل في الجمل الاسمية قولهم (الفقر مخف والغنى مثقل)[24]، والتقابل وقع بين جملتي (الفقر مخف) و(الغنى مثقل) وهاتان الجملتان اسميتان.

ومن التقابل الدلالي في الأسماء قولهم: (الرفيق إما رحيق أو حريق)، فالمثل قائم على التقابل الدلالي بين (رحيق)، و (حريق) وهو يصرف إلى إبراز صفة من صفات الصديق وهي أما ان يكون كالرحيق في تعامله مع صديقه، او ان يكون كالنار المستعرة من شدةِ الحقد، والحسد للآخرين.

ومن الأمثال القائمة على التقابل الدلالي، قولهم: (أُريها السُّها وتريني القمر)[25]، والسُها: (كويكبٌ صغير خفيٌّ الضَّوءِ في بنات نِعش الكبرى، والناس يمتحنونَ به أبصارهم)[26]. والمثل أورده الشارح في سيرة بسر بن أرطاة الذي بعثه معاوية ليغير على أعمال أمير المؤمنين، فقال الوليد بن عقبة: (أشرنا على معاوية برأينا أن يسير إلى الكوفة فبعث الجيش إلى المدينة، فمثلنا ومثله، كما قال الأول: أريُّها السُّها وتُريني القمر)[27].

ومن الأمثال التي وردت عن الإمام علي (عليه السلام) قوله:

أحِبب حبيبَكَ هَوناً مَا عَسَى أن يكونَ بغيضَكَ يَوماً ما[28]

ودلالة هذا المثل النهي عن الإسراف في المودَّة والبغضاء، فقد ينقلب من تَوَدُ فيصيرُ عدُواً، وربما يصيرُ من تعاديهِ صديقاً.

ومن الأمثال الواردة في شرح النهج، قولهم: (دُرّةُ عمر أهيب من سيف الحجاج)[29]، وهذا المثل ساقَهُ ابن أبي الحديد في ذكر نسب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وأخبارهُ فذكر (أنَّ أول من ضربَ عمرُ بالدُّرةِ أم فروة بنت ابي قحافة، مات ابو بكر فناح النساء عليه، فيهن أخته أم فروة، فتهافت عمرا مراراً، وهن يعاودن، فأخرج أم فروة من بينهن، وعلاها بالدُّرة فهربنَ وتفرقنَ)[30]، والتقابل الدلالي في مثل السابق قائم بين (السيف) و(الدُّرة)، وقد ارتبط كل واحدٍ منهما بشخصية كانت مناقضة للأُخرى كالتقابل القائم بين (السيف) و(الدُّرة)، فارتبط (السيف) بالحجاج وهو من أظلم حكام التاريخ وقد بني ما يعتقده بعضهم فيه من المجد على جماجم الأبرياء، والمصلحين، وقرَّاء القرآن، وفي قبال ذلك ربطت (الدُّرة) بعمر الذي كان مثالاً رائعاً من أمثلة العدل على مدى التاريخ، وعلى الرغم من إرهاب السيف وقوة بطشه إلا أن الناس كانت ترى في درَّة عمر من الهيبة ما لاتراه في سيف ذلك الظالم، لهيبة الإيمان والعدل التي كان عليها الخليفة الراشدي.

ثانيا: التقابل الدلالي في الأفعال:

وردت في أمثال شرح النهج لابن أبي الحديد أمثال متعددة قائمة على التقابل الدلالي بين الأفعال أو الجمل الفعلية المكونة لها، والتقابل الدلالي في الأفعال كان واضحا في الدلالة على ما يقصدُهُ المتكلم فمن التقابل الدلالي في الأفعال، قولهم (من زرعَ شراً حصدَ ندماً)[31]، فالتقابل بين الفعلين (زرعَ) و(حصَدَ)، ومن الأمثال الواردة على لسان علي (عليه السلام) قولُهُ:(كما تدين تُدان)[32]،، وهو في هذه المقولة كان ينصح المسلمين، ويعظهم ومما وعظ به الإمام المسلمين في خطبته: (وضع فخرك، واحطط كبركَ، واذكر قبرك، فإنَّ عليه ممرَّكَ، وكما تدين تدان، وكما تزرع تحصد).[33]

ومن الأمثال القائمة على التقابل الدلالي، قولهم: (أم المقتول تنام، وأم المهدَّد لا تنام)[34].

والتقابل قائم بين الفعلين (تنام)، و(لا تنام).

ومن الأبيات التي تمثل بها الأمام علي (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة عندما بلغه أنه دعي إلى مأدبة فأجاب اليها قوله:

وحَسبُكَ دَاءاً أن تبيتَ ببطنةٍ وحولُكَ أكبادٌ تحِنُّ إلى القِدِّ[35]

وقليلون في التاريخ من الحكام والملوك من انتصروا على أنفسهم التي تدعوهم إلى التمسك بأسباب الترف والنعيم وترك الرَّعيةِ تعاني الجوعَ والفقر.

ومن أقوال الإمام علي (عليه السلام) التي ذهبت مثلا، وهي قائمة على ظاهرة التقابل الدلالي، قولُهُ:

(شقشقةٌ هَدَرَت ثُمَّ قَرَت)[36]، وهذا المثل أجابَ بهِ الإمام ابن عباس (رضي الله عنه) عندما طلب منهُ ان يستمر في خطبته المعروفة بالشقشقية، وقد قطع الإمام خطبته عندما ناوله رجل من أهل العراق كتاباً لينظر فيه فقطع (عليه السلام) الخطبة ولم يعد إليها[37]، فتأسف ابن عباس عما فاته من إكمالها، وقال

له: (يا أمير المؤمنين لو اطَّردت مقالتك من حيث أفضيت، فقال: هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هَدَرَت ثُمَّ قَرَّت)[38]، ويقال للخطيب: (ذو شقشقة فإنما يشبِّه بالفحل.. وشبه الفصيح المنطيق بالفحل الهادر)[39].

من الأمثلة القائمة على التقابل الدلالي، قولهم (أخرِّ الشَّرَ فإنَّكَ إذا شئت استعجلته)[40]. فالتقابل بين الفعلين (أخّر)، و(استعجلتَه).

ومن أقوال الإمام (عليه السلام) التي ذهبت مثلاً، قوله: (ردُّوا الحجرَ من حيث جاء فإنَّ الشَّر لا يدفعهُ إلا الشر)[41]. والتقابل الفعلي في هذه المقولة بين الفعلين (ردُّوا) و (جاء)، وفي هذه الكلمة يحثنا الإمام على مقابلة الشر بمثله عندما لا يكفُّ الظالم عن الظلمِ والطغيان.

ونلحظ مما سبق أن ظاهرة التقابل الدلالي كانت واردة بشكل لافت للنظر في أمثال شرح النهج لأبن ابي الحديد، وكان التقابل بين الأفعال هو السمة الأبرز فيها.

المبحث الثاني
الترادف

الترادف لغة

عبر اللغويون عن الترادف بأنَّه مأخوذ من (الردف) وهو: (ما تبع الشيء... ، وإذا تتابع شيء خلف شيء، فهو الترادف... وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً)[42].

الترادف اصطلاحا

درس اللغويون العرب ظاهرة الترادف في ضمن بحوثهم اللغوية، وأول نص مكتوب تناول هذه الظاهرة بالدرس ورد في كتاب سيبويه، إذ قال: (أعلم أن من كلامهم.. اختلاف اللفظين والمعنى واحد)[43]. ثم توالت التعريفات التي تناولت الترادف، ومنها...(عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي

الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد)[44]. وذهب الكيا الهراسي إلى رأي جدير بالنظر إلى أن الألفاظ التي ترد معنى واحد تنقسم إلى ألفاظ متواردة[45]، و ألفاظ مترادفة[46]، فالمتواردة عنده أن: (تسمي الخمر عقارا وصهباء.. والمترادفة هي التي يقام لفظ مقام لفظ لمعان متقاربة يجمعها معنى واحد، كما يقال: أصلح الفاسد، ولم الشعث)[47] ويرى الباحث ان الرأي الذي ساقه السيوطي (ت 911هـ)، ونسبه للكيا الهراسي لا يخلو من وجاهة، وان خالف شرط الأفراد في المترادفات إلا انه كان مصيبا في دراسة هذه الظاهرة اللغوية، والتدليل على صحة ما ذهب إليه لا بد لنا من الإشارة إلى أن قسماً من العلماء خالفوا جمهور اللغويين المؤيدين لوجود (الترادف) فأنكروا وجودها، ومن أبرزهم أبو علي الفارسي (ت 377هـ)[48]، وابن فارس (ت 395هـ)[49]، وأبو هلال العسكري (ت 395هـ)[50]، وأشار بعض العلماء كابن الانباري (ت 328هـ) إلى أنَّ ابن الإعرابي (ت 231هـ)، كان ينكر الترادف[51]. ولكننا نجد عند الاطلاع على كتب ابن الإعرابي أنَّه كان يرى وجود هذه الظاهرة إذ نلحظ في كتاب (البئر) لابن الإعرابي ما يخالف هذه الدعوى، فقد ذكر في وصف البئر: (بئر زوراء ودَحُول: إذ كان في حلقها عوج)[52]. كما جاء في وصف البئر: (الخضرم والعيلم : الغزيرة)[53]. كما ورد في كتابه (بئرٌ نضوض وبَروض ورَشوح، ومَكول: وهي التي تجمع ماؤها قليلاً قليلاً)[54]. وروى الزجاجي (ت 337هـ)، عن ابن الأعرابي ما يثبت اعتقاده بالترادف، (قال ابن الاعرابي: والنبراس: السراج، يقال هو: النبراس، والسراج، والقراط والقرط، وهذاق، والمصباح، والواجهة، والوابص والوميص، والمأنوس، والحيكة، بمعنى واحد)[55]. ومثلما ذكر بعض اللغويين انكار ابن الاعرابي لوجود هذه الظاهرة ذكر بعضهم انكار ثعلب (ت 291هـ)، للترادف، إلا أننا نجد هذا الرأي لا يتفق مع ما نجده من أقوال في مجالسه التي تدل بشكل

صريح على أنه كان يرى وجود الترادف، ومن ذلك قوله: (قال: والمزير الظريف: وهو العاقل)، كما قال: (حِدَأة وحِدَأ: الطائر، وحَدَأة، وحَدَأ: الفؤوس:، من قول أصحابنا كلهم، وابن الاعرابي يقول: حَدَأة وحَدَأ للفؤوس والطائر جميعاً)[56].

وجاء في مجالسه: (يقال: عرُّفت الكأس إذا مزجتها، وصرَّفتها وأصرفتها، مزجتها)[57].

ونلحظ مما تقدم ان إنكار الترادف المنسوب إلى ابن الإعرابي، وثعلب هو أمر غير دقيق لا يتفق وما نجده في آثار هذين العالمين.

وعلل اللغويون المانعون لوجود الترادف ذهابهم إلى هذا الرأي، بأن هذه الظاهرة تكثير للغة بما لا فائدة فيه[58]. وأن واضع اللغة حكيم لا يمكن أن يضع لفظين أو أكثر للدلالة على معنى واحد[59]. ويظهر أن الخلاف بين المانعين لوجود هذه الظاهرة والمؤيدين لها كان بسبب الخلاف في وجهات النظر اللغوية، إذ التمس المنكرون لهذه الظاهرة فروقا دقيقة بين الألفاظ فكانت نظرتهم تاريخية، بخلاف العلماء المثبتين لها، فقد كانت نظرتهم لها وصفية[60].

أما اللغويون المحدثون فقد أقروا بإمكانية وقوع الترادف، في أي لغة من لغات البشر، وذكروا أسبابا كثيرة تدفعهم للذهاب إلى ذلك، منها[61]:

1- تعدد اللهجات: فقد اتسمت العربية بظاهرة بارزة وهي تعدد اللهجات، وهذه اللهجات كانت تستعمل ألفاظاً متعددة للدلالة على مسمياتها و(أصبحت الحالة التي انتهت اليه اشبه ببحيرة، امتزج بمياهها الأصلية، مياه أُخرى انحدرت اليها من جداول كثيرة)[62].

2- تعدد الصفات: وهو من أسباب كثرة الترادف، إذ يكون للشيء الواحد في الأصل اسم واحد، ثم يوصف بصفات مختلفة، وهذه الصفات تستعمل

بمرور الزمن استعمال الاسم الأصلي الدال على المسمى، ويتناسى المتكلمون ما في هذه الكلمات من الوصف.

3- التطور اللغوي: أحد أسباب كثرة المترادفات في العربية، فقد تتطور بعض أصول الكلمة الواحدة على ألسنة المتكلمين، فتنشأ صورة أُخرى للكلمة، وعندئذ يعدها اللغويون العرب مترادفات لمسمى واحد.

4- الاقتراض من اللغات الأُخرى المجاورة العربية، وهنا يجب أن نفرق بين الاقتراض من اللغات التي تتفق مع اللغة العربية في الفصيلة اللغوية، واللغات التي ترجع إلى الفصائل الأُخرى، فالألفاظ الواردة إلى العربية من اللغات الأُخرى سامية كانت أم غير سامية قد تكون منحدرة إليها من اللغة السامية الأم، أو أن تكون موجودة في العربية القديمة ثم افترضتها اللغات الأُخرى من سامية وغيرها[63]، إلا أننا ينبغي أن نشير إلى اقتراض العربية من اللغات الأُخرى وهو ما نص عليه المعجميون العرب كان من أهم أسباب كثرة المترادفات في العربية[64].

وقبل أنْ نعود لرأي (الكيا الهراسي) الذي صدرنا به مبحث (الترادف) نشير إلى أنَّ المحدثين قد أقروا ظاهرة (الترادف)[65]، وذكروا أنَّه من الممكن أن يقع في أي لغة من لغات البشر[66]، ويرى معظمهم ان (مقياس الترادف في ألفاظ اللغة يقوم على مبدأ الاستعاضة الذي يعني استبدال الكلمة بما يرادفها في النص اللغوي دون أي تغيير في المعنى)[67]. وأنكر بعض العلماء وجود الترادف الكامل، (لأنَّ الترادف التام يفترض التماثل التام في جميع السياقات)[68].

كما اشترط الباحثون شروطا تحد من كثرة المترادفات أهمها:[69]

الاتفاق بين الكلمتين اتفاقا تاما، والاتحاد في البيئة اللغوية، والاتحاد في العصر، و ألا يكون أحد المترادفين ظهر نتيجة التطور الصوتي للفظ الآخر.

ونعود هنا لرأي (الكيا الهراسي) الذي ذكر أن الترادف هو في ألفاظ الجمل والعبارات، وهنا خالف هذا العالم جمهور اللغويين الذين رأوا أن الترادف يكون في الألفاظ المفردة[70]، ولكن الباحث يرى أن رأي (الكيا الهراسي) لا يخلو من وجاهة، بل أنّه وبلحاظ الخلاف بين اللغويين في وجود الترادف في الألفاظ المفردة نستطيع القول بوجود الترادف أو ما يسميه بعضهم بالتوارد بين العبارات والجمل وهو ما لانجده فيه خلافا حول إمكانية وقوعه، فيمكن التعبير عن المعنى الواحد بجمل متعددة، وتعابير مختلفة. والتعبير عن المعنى الواحد بجمل متعددة من أهم الأدلة على إمكانية التعبير العالية التي تمتلكها اللغة، ويوصف من يمتلكها بالقدرة على التعبير.

وقد اعتمد الباحث على هذا الرأي الذي لا يراه عموم اللغويين في اشتراط الترادف، نظرا للخلاف الواقع بين اللغويين في وقوع الترادف في الألفاظ المفردة هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى يرى الباحث ان الترادف لا يمكن أن يكون في كلمة واحدة، وبمعزل عن السياق الذي ترد فيه.

ومن هنا نرى أن الترادف يكون في العبارات والجمل لأنها أكثر تعبيرا عن المعاني التي يقصدها المتكلم وبخاصة عند اتيانه بالمثل من الألفاظ المفردة التي تعزل عن سياقها الذي ترد فيه.

ونشير إلى الأمثال التي قامت على الترادف في دلالاتها، وجاءت في شرح نهج البلاغة، ومن هذه الأمثال التي جاء بها الشارح، قولهم: (قد بلغَ الحزامُ الطبيين، وجاوزَ السيل الزبى)[71]. وهذان المثلان يضربان عند مجاورة الحد، وبلوغ الشدة منتهاها، وكتب الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى الإمام علي (عليه السلام لما حوصر: (أما بعد فإنَّ السَّيل قد بَلغَ الزُّبىَ، وجاوزَ الطُبيينِ، وتجاوزَ الأمر بي قدرَهُ، وطمع فيَّ من لا يدفع عن نفسهِ)[72] والترادف واضحٌ في المثلينِ، وهو بلوغ الشدةِ منتهاها.

ومن الأمثال المترادفة قولهم: (المنية ولا الدنية)، و (النار ولا العار) و(السيف ولا الحيف)[73]، ففي هذه الأمثال كان الترادف واضحا في الدلالة على ما أراده الشارح من الجمع لهذه الأمثال: إذ أوردها الشارح في سياق ذكر قول يزيد بن المهلب لابنه خالد وقد أمرَّه على جيش في حرب (جرجان)[74].

ومن الترادف في الأمثال قولهم: (اذا كثرت المقدرة قلت الشهوة، (لكل مقدور عله مملول)[75]. فهذان المثلان يترادفان في الدلالة العامة لكل واحد منهما.

ومن الترادف في دلالة أمثال شرح النهج، المثل القائل: (متفرقين أيادي سبأ)[76]، فهذا المثل يرادف المثل القائل:(ذهبوا شذر مذر)، ودلالة المثلين واضحة في التفرق عن الحق، فالمثل الأول ورد على لسان علي (عليه السلام) في قوله: (فما آتي على آخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ)، وهو ما حدث فعلا إذ عانى الإمام من تفرق الأصحاب، أما المثل الثاني فقد أورده الشارح تعقيبا على قول لعلي (عليه السلام) يشير فيه إلى قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فذكر (عليه السلام): (وبقيت بقية من أهل البغي ولئن أذن الله في الكرة عليهم لأدلين منهم إلا ما يشذ في أطراف البلاد)[77].

ومن الترادف في دلالات الأمثال في شرح النهج ما ذكره الشارح من أمثال تعقيبا على قوله عليه السلام لبعض مخاطبيه وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله على قول مثلها، وهو قوله (لقد طرت شكيرا، وهدرت سقبا)[78]. فذكر الشارح أن هذا مثل قولهم: (لقد زبب قبل أن يحصرم)، ومن أمثالهم (يقرأ بالشواذ وما حفظ بعد جزء المفصَّل)[79].

والترادف واضح في دلالات الأمثال السابقة، إذ إنَّ (الشكير) في قول الإمام هو: (أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى والسقب:الصغير من الابل ولا يهدر الا بعد ان يستفحل)[80].

ونلحظ ان هذه الأمثال تترادف في دلالتها فهي تبين حالة من حالات التمييز من الآخرين مع صغر السن.

وهكذا نرى أنَّ الترادف بمعناه الواسع لا يمكن ان يصنعه الباحثون في دلالة اللفظة المفردة المجردة عن سياقها الذي ترد فيه، فالترادف التام بين الألفاظ المفردة نادر الوقوع وبخاصة عند النظر إلى الجانب التاريخي لدلالات الألفاظ واستعمالاتها في العصور المختلفة. ولكننا عند النظر إلى الدلالة العامة للأمثال التي تقدم ذكرها نجدها تترادف في معانيها.

---

(1) ينظر: لسان العرب (دلل): 4/ 531.

(2) التعريفات: 108.

(3) ينظر: دلالة الألفاظ: 38، وابن جني وعلم الدلالة: 12.

(4) علم الدلالة: احمد مختار عمر: 11.

(5) ينظر: علم الدلالة العربي: 6، وعلم الدلالة: بيير جيرو: 15-16.

(6) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 190-194.

(7) ينظر: في اللهجات العربية: 172.

(8) لسان العرب (قبل): 4/ 731.

(9) البرهان في علوم القرآن: 458/3.

(10) ينظر: الألفاظ الكتابية: 296-297.

(11) ينظر: النهاية في غريب الحديث: 140/1، 2/ 36، 58/3 – 217، 3/4، 161/5-295.

(12) ينظر: علم الدلالة : كلود جرمان: 70، وعلم الدلالة: احمد مختار عمر: 102.

(13) ينظر: ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية: 51.

(14) البرهان في علوم القرآن: 3/ 455.

(15) الصناعتين: 346.

(16) مقاييس اللغة (ضد): 360/3.

(17) لسان العرب (خلف): 3/ 971.

(18) مقاييس اللغة (عكس)، 4/ 107.

(19) الصناعتين: 385، وينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب: 162.

(20) لسان العرب (نقض): 3/ 439.

(21) الأمثال في نهج البلاغة: 55.

(22) شرح نهج البلاغة: 362/19.

(23) م. ن: 19/ 320.

(24) م. ن: 121/16.

(25) م . ن : 2/ 8.

(26) لسان العرب: (سها): 6/ 290.

(27) شرح نهج البلاغة: 2/ 7-8.

(28) الأمثال في نهج البلاغة: 23.

(29) شرح نهج البلاغة: 1/ 181.

(30) م . ن : 1/ 181.

(31) شرح نهج البلاغة: 160/9.

(32) الأمثال في النهج: 103.

(33) شرح نهج البلاغة: 9/ 158.

(34) م .ن.: 18/ 406.

(35) الأمثال في النهج: 161.

(36) الأمثال في النهج: 77.

(37) ينظر: شرح نهج البلاغة: 1/ 203.

(38) مجمع الأمثال: 2/ 146-147.

(39) لسان العرب: (شقق): 4/ 128.

(40) شرح نهج البلاغة: 120/16.

(41) الأمثال في نهج البلاغة: 62.

(42) لسان العرب (ردف): 3/988-989.

(43) الكتاب: 7/1، وينظر: علم الدلالة: احمد مختار عمر: 215.

(44) التعريفات: 60.

(45) ينظر: المزهر: 1/ 406.

(46) م. ن : 1/ 406-407.

(47) ينظر: المزهر: 1/ 405، الدراسات اللغوية عند العرب: 415.

(48) ينظر: الصاحبي: 114.

(49) ينظر: الفروق اللغوية: 33.

(50) ينظر: الأضداد: ابن الانباري: 7، والمزهر: 1/ 400 – 401.

(51) كتاب البئر: 61.

(52) م. ن.: 64.

(53) م. ن: 60.

(54) أخبار الزجاجي: 146.

(55) ينظر: المزهر: 1/ 403، ودراسات في فقه اللغة: 343.

(56) مجالس ثعلب: 1/ 76.

(57) م.ن. / 1/ 145.

(4) م. ن: 1/ 244، وينظر: فقه اللغة العربية: كاصد ياسر الزيدي: 169.

(59) ينظر: الفروق اللغوية: 36.

(60) ينظر: دراسات في فقه اللغة: 348، والترادف في اللغة: 147.

(61) ينظر: فقه اللغة العربية: 181، وفصول في فقه العربية: 316-321.

(62) فصول في فقه العربية: 316.

(63) ينظر: من تراثنا اللغوي القديم: 9-13.

(64) ينظر: من أسرار اللغة: 117، و فقه اللغة العربية، 183.

(65) ينظر: في اللهجات العربية: 154، وفقه اللغة العربية: 186.

(66) ينظر: في اللهجات العربية: 154.

(67) الترادف في اللغة: 270، وظاهرة الترادف في ضوء التفسير البياني في القرآن الكريم، 7.

(68) مبادئ اللسانيات: 310، وينظر: دور الكلمة في اللغة: 97.

(69) ينظر: اللغة: 247-286، وفصول في فقه العربية: 322-323..

(70) ينظر: الترادف في اللغة : 49.

(71) شرح نهج البلاغة: 2/ 146.

(72) مجمع الأمثال: 1/ 255.

(73) شرح نهج البلاغة: 3/ 291.

(74) م. ن. 3/ 291-292.

(75) م. ن. 78/19.

(76) م . ن : 70/7.

(77) م. ن: 184/13.

(78) م. ن. : 4/20.

(79) شرح نهج البلاغة: 4/20.

(80) م . ن: 4/20.